إتْحـــاف أمـــّة الإســـلام

بتهـذيب

كتـــاب "فتُـــوحُ الشـــّامِ"

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي

المتوفى سنة 207هـ

هذّبه و اختصره و صححه

الشـيخ حســام عبد الـرؤوف

الجـزءان الأول والثاني

من إصـدارات اللجنـة الإعـلاميـة

ربيع الأول 1430

إتحاف أمة الإسلام

بتهذيب

كتاب "فتوح الشام"

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي

المتوفى سنة 207هـ

هذَّبه واختصره وصححه

الشيخ حسام عبد الرؤوف

الجزء ان الأول والثاني

من إصدارات اللجنة الإعلامية

ربيع الأول 1430

إهـــداء

إلى كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر وأنّه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولن تعود السيادة والريادة والقيادة للأمة الإسلامية إلا بالرجوع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والأحكام الربّانية وأهمها فريضة الجهاد بالنفس والمال.

وإلى كل قائد مسلم على أي مستوى من مستويات القيادة ومهما كان حجم الجماعة التي يقودها ليتعلم أحكام السياسة الشرعية ويسترعي بها رعيته، لينهل من هذا الفيض العذب فيقوّم نفسه ويقيم أفراده على منهاج السلف الصالح ليحقق ما حققوه ويجتمع بهم في دار الخلد إن شاء الله.

وإلى كل مجاهد يبذل النفس والنفيس ابتغاء مرضاة الله ورفع البلاء عن الأمة وكشف الكرب عن المكروبين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك حتى يتعلم من سلفنا الصالح ﷺ أحكام الجهاد فينشر الخير والصلاح، ويجتنب الفساد في الأرض؛ فيكون نومه ونبهه وجده ولعبه وجهاده وإعداده كله أجراً.

وإلى كل داعية ومرب مسئول عن سياسة الأمة وتربية أجيالها على معالي الأمور واجتناب سفاسفها، وتنشئة الأجيال الجديدة على حب الجهاد والاستشهاد، والإعداد البدني والنفسي والشرعي ليكونوا مصابيح الهدى وفرسان الميادين.

وإلى كل أم مسئولة عن تربية بناتها وأطفالها على ما ربتهم عليه أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات وتابعاتهنّ بإحسان على العزة والشرف والكرامة وتفضيل القتل في سبيل الله على أن يصرن سبايا بيد الأعداء وحياة الذلة والهوان.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع ابتغاء مرضاة الله ورجاء دعوة صالحة بظهر الغيب

والحمد لله رب العالمين.

حسام عبد الرؤوف

مقدمة فضيلة الشيخ أبي الوليد الأنصاري -حفظه الله-

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدى و دينِ الحَقِّ ليظهرَهُ على الدينِ كلِّهِ ولو كرِهَ الكافِرون؛ والصلاة والسلام على سيدِ الأَوّلين والآخِرين؛ الذي جاهدَ في الله حقَّ جهادِهِ حتى أتاهُ اليقين؛ وعلى آلِهِ و صحابتِهِ أشْرفِ المُجاهِدين وأشْجعِ المُقاتِلين. أما بعد:

فسيرةُ سلفِنا -رحمهم الله تعالى- مَدْرسَةٌ جامعَةٌ لأصولِ الفَضائلِ عَقيدةً وفِقْها وسُلُوكا، وأعْطرُ هذه السيرةِ شذىً وأنْداها ذِكْراً سيرةُ أصحابِ نَبيِّنا صلواتُ الله وسلامه عليه؛ ورضيَ اللهُ عنهم أجمعين؛ كيفَ لا وهم الجيلُ الأوَّلُ الذي اخْتاره الله تعالى لِصحبةِ نَبيِّه؛ وتلقَّوا عنه دِينَ ربِّهم أبْيَضَ نَقيّا؛ قبلَ أن يرى المسلمون (الاختلافَ الكثيرَ) الذي أخبرَ عنه رسولُنا الكريم عليه الصلاة والسلام؛ ووقرَ في نُفوسِهم وخالطَتْ بشاشتُه قُلوبَهم دون أنْ يعكِّرَ صفْوَ مفاهيمِهم فلْسفاتُ المدنيَّةِ التي ابْتُليتْ بها الأمم الأُخْرى من مثل فارس والروم.

وإذا كانت حياةُ المجتمعِ الإسلامي الأولِ هي التَرْجَمةَ العَمَليَّةَ لعَقيدةِ التوحيدِ وفِقْهِ الشَّرْعِ فإنّها في الجهادِ في سبيلِ الله لنشرِ هذا الدين بيانٌ حيٌّ لِمُثُلِهِ العُلْيا وقِيمِهِ الساميةِ التي تشْهدُ بأنه تنْزيلٌ من الله ربِّ العالمين.

ونحنُ اليومَ – أُمَّةَ الإسلامِ – بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى إبْرازِ تلْكَ المآثرِ وتَقْديمِها بينِ يدي الناشئةِ المسْلمةِ معْلماً من معالمِ الطريقِ ومنارةً رفيعةً من مناراتِها؛ ولأننا بذلك نُعمِّقُ صِلةَ الأُمَّةِ بماضيها؛ ونقيمُ سداً منيعاً في وجْهِ عوْلمةِ المسخِ الثقافيِّ ورياحِه العاتيةِ التي يرادُ بها محْوُ الصِّبْغةِ الحضاريَّةِ لأُمَّةِ الإسْلام!، وخسِرَ هنالك المُبْطِلون.

وكتبُ التواريخِ والسِّيرِ - على كثْرتِها - ليسَ يُغْني كتابٌ منها عنْ كتاب؛ بل كلٌّ منها مُكمِّلٌ للآخرِ بمزيدِ إيضاحٍ وبيانٍ؛ أو تفصيلٍ لما أُجْمِلَ؛ أو نقْضٍ

يَلوحُ معهُ وجْهُ الصوابُ؛ وذلك مِنْ أعظمِ العَوْنِ على تَحْقيقِ الحوادِثِ التاريخيَّةِ وتمْحيصها.

والاعْتِبارُ بحوادثِ التاريخِ على الجُمْلَةِ شَيءٌ؛ وتَحْقيقُ مَرْوِيَّاتِهِ شَيءٌ آخَر، ومع أَنَّ هذا الثاني أَمْرٌ لابدَّ منه؛ إلا أنَّ الأوَّلَ هو ثمرةُ دراسةِ علْمِ التاريخِ وغايته !، وإذا كان العاقِلُ يعتبِرُ بالقِصَّةِ المنْسوجةِ المُخْتَرعةِ على أَلْسنةِ الطيورِ والعجماواتِ من المخْلوقات؛ ويعْتبِرُ بالمثلِ المضْروبِ الذي لا أَصْلَ له؛ فاعْتِبارُه بالحادِثِ التاريخيِّ أوْلَى.

كتابُ الواقِديِّ (فتوحِ الشام) من الكُتُبِ التي حَوَتْ الكثيرَ من هذه العِبَر؛ مع حسْنِ السِّياقِ وعذُوبةِ العبارة؛ عرفتُ هذا لما قرأْتُ كثيراً منه وحدي أوَّلاً ؛ ثم قرأْتُ أكثرَه على صاحبٍ لي ثانياً؛ ثم قرأْتُه بتمامِه على بعْضِ طلابِ العلمِ ثالثاً؛ فآنسْتُ مِنْ الفوائدِ في قراءتِه ما شرحَ صدْري وصدورَ الحاضرين؛ ورأيتُ آثارَه على صفحاتِ الوجوهِ؛ ووددْتُ لو أنَّ الكتابَ حظِيَ بتقْريبِ مادَّتِه للمسلمين عامَّةً؛ وللمجاهدين درْعِ الإسلامِ الحصينِ خاصَّةً؛ وأكَّدَ لي حاجةَ الكتابِ إلى التَّهْذيبِ ما رأيتُ في تضاعيفِه من الاستطْرادِ في تقْريرِ عباراتِ المتصوِّفةِ وعلومِهم مما يقْطَعُ معه بأنَّها ليستْ من عبارته لأنها لم تكنْ معهودةً في زمنِه فإن وفاته على ما ذكره البخاريُّ في التاريخِ وابن النديمِ في سنةِ سبعٍ ومائتين في شهرِ ذي الحجَّةِ منها. وكلام العلماءِ في الواقِديِّ مشْهورٌ لا يخْفى؛ ومن ذلك قولُ الذهبي فيه في السِّيَرِ: "وجمعٌ فأوعى؛ وخلطٌ الغثَّ بالسمين؛ والخزَفَ بالدُّرِّ الثمين؛ فاطَّرحوه لذلك؛ ومع هذا لا يسْتَغْنى عنه في المغازِي وأيامِ الصحابةِ وأخبارِهم". انتهى.

ووراءَ ذلك كلِّه ما في الكتابِ من الفوائدِ والعبر:

- منْها: بيانُ مَنزِلَةِ الجهادِ من الإسلامِ بيانا عمليا؛ وأنه عبادَةُ الأمَّةِ كلِّها؛ وليس (وظِيفَةَ) طائفةٍ منها فحسْب.

- ومنها: إيضاحُ مفهومِ الجهادِ في سبيلِ الله؛ وأنه ليسَ القتالَ وحْدَهُ؛ بل كل علم وعملٍ فيه رفع لواء الشرعِ والتمكين لدينِ الله في الأرضِ فهو من الجهادِ الواجبِ على المسلمين.

- ومنها: أن روحَ الجهادِ في سبيلِ الله هو السموُّ الأخلاقيُّ الذي فتحَ قلوبَ العبادِ قبل فتح بلادهم بالسيفِ حتى دخلتْ أمم منهم في دينِ الله أفْواجاً.

- ومنها: ما كان عليه صدْرُ الأمّةِ ﷺ من مراعاةِ أوامرِ الله تعالى الدينيَّةِ الشرْعيةِ من التعاضدِ والتلاحمِ والتناصر ولزوم الجماعةِ والسمعِ والطاعةِ مما له أعظمُ الأثرِ في إيقاعِ الهيْبةِ في نفوسِ الأعداء؛ واستجلابِ نصرِ الله تعالى.

- ومنها: مراعاةُ السنن الكونيّةِ في بناء الأُمم وقيامِ الدُوَلِ وسياسَةِ الرعيَّةِ؛ حيث يكونُ السعْيُ على وفْقِها من أعْظَمِ أسبابِ النُّهوضِ والبِناءِ ومخالفتها من أعظم أسباب السقوط وذهابِ الأمم والدول.

- ومنْها البيانُ العمليُّ لقولِ رسولِ الله ﷺ: "الحربُ خَدْعَةٌ"؛ وما ينْبَغِي أن يتحلَّى به القائدُ من حميدِ الصِّفاتِ ومحاسِنِ الشمائل التي هي سلم الوصول إلى مراقِي الفلاحِ والنجاح.

وأسألُ اللهَ جل وعلا أن يكونَ هذا التهذيبُ الذي قام به الأستاذُ الباحث حسام بنِ عبدِ الرؤوفِ وافياً بالغرضِ المقصودِ من تنْقيحِ مادَّةِ الكتابِ وتهذيبِها وتقريبِها بين أيدي القراء؛ كما أسألُه تعالى أن يجْعلَ هذا العملَ صدقةً جاريةً تنفعه في دنياه وأُخْراه؛ وأن ينفع بالتهذيبِ من سمعه وقرأه؛ وأن يجعله سببا لإقامةِ دينِهِ والتمكين لشرعه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأنبياء والمرسلين؛ وعلى آله وصحابته والتابعين.

والحمد لله رب العالمين.

وكتب: أبو الوليد الأنصاري

23/ ذو الحجة/ 1429

مقـــدمة الشـيخ حســام عبد الرؤوف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله و صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..أما بعد،

فما أكثر الكنوز التي تحتوي عليها المكتبة الإسلامية مما صنفه وكتبه وجمع أبوابه سلفنا الصالح ﷺ الذين خلفوا لنا تراثاً حضارياً تعجز البشرية بكل طوائفها وأديانها أن تأتي مجتمعة بعشر معشاره، وتاريخاً مدوَّناً موثَّقاً لو كان لدى أمة من الأمم غير المسلمة لتفاخرت به وعضَّت عليه بالنواجذ وربت أجيالها عليه، ولكن للأسف الشديد هذا التراث الضخم مهمل من المسلمين، لا يقرؤونه ولا يحترمونه فضلاً عن أن يطبقوه في حياتهم العملية فيعيد لهم الأمجاد التليدة والمفاخر الحميدة!

ومن بين الكتب التي ألفت في التاريخ ولم تحظ بالاهتمام الذي تستحقه الكتاب الذي بين أيدينا؛ رغم أنه طبع عشرات الطبعات إلا أنها لم تؤد الواجب نحو هذا الكنز من تهذيب بعض ألفاظه، واختصار الاستطرادات المطولة في بعض المواضع وأشعار الفخر التي قد تصيب القارئ بالملل خاصة لمن يفتقدون النفس الطويل في قراءة الكتب -وهم الغالبية العظمى من قراء اليوم-، وكذلك لفت أنظار المسلمين للاستفادة من يقين صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم و صدقهم في جهادهم وما فتح الله عليهم من الحنكة السياسية والعبقرية القيادية والالتزام والسمع والطاعة والحيل التي لجأ إليها المسلمون لفتح الحصون والقلاع مما يدل على إنه يجوز في الجهاد ما لا يجوز في غيره! ولذا يمكن إطلاق اسم "فتوح الحيل" والتطبيق العملي لقول رسول الله ﷺ: "الحرب خدعة" على هذه الفتوح،

هذا بجانب أبواب العلم والفقه التي تستفاد منه! وهناك أمور نحب أن نلفت الأنظار إليها ليتعلم منها المجاهدون خاصةً والقادة السياسيون والعسكريون عامةً ظهرت بجلاء من خلال التطبيق العملي لصحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم ﷺ أجمعين من أهمها:-

- الإمارة أمانة وتكليف ومسئولية أمام رب العالمين ثم عباده المؤمنين؛ ونذكر هنا كلمات سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لعامله على جيوش المسلمين في الشام سيدنا أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما -بدون تعليق-: "اعلم يا أبا عبيدة أنَّ بانقطاع كتابك وإبطاء خبرك يكثر قلقي ويضنى جسدي على إخواني المسلمين وما لي ليل ولا نهار إلا وقلبي عندكم ومعكم، فإذا لم يأت منكم خبر ولا رسول فإن عقلي طائر وفكري حائر، وكأنك لا تكتب إليَّ إلا بالفتح أو الغنيمة، واعلم يا أبا عبيدة أنَّني وإن كنت غائباً عنكم فإن همَّتي عندكم وأنِّي داعٍ لكم، وقلقي عليكم كقلق الوالدة الشفوقة على ولدها".

- الالتزام الصارم بالأحكام الشرعية على الراعي والرعية وعلى المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين ونكتفي بذكر وصية سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ ليزيد بن أبي سفيان عندما أمَّره على ألف فارس من سائر الناس للسير إلى الشام: "إذا سرت فلا تضيِّق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فإنه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم، وإذا لقيتم القوم فلا تولوهم الأدبار. وإذا نصرتم

على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تعقروا بهيمة إلا بهيمة المأكول، ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم".

- تطبيق أحكام السياسة الشرعية على كل المستويات القيادية، ومواكبة القيادة السياسية الدائمة لما يجري على الساحة العسكرية والإلمام بتطورات المعارك وتوجيه القادة العسكريين بالخطوات التالية كدليل على الإحاطة بخط سير المعارك وكل دقائقها وسرعة اتخاذ القرارات المواكبة لتطورات الأحداث، وهذا يتضح بجلاء من كتب الخلفاء الراشدين ﷺ إلى قادتهم في الميادين رغم بعد المسافات وصعوبة الاتصالات في ذلك الزمان! وأما القيادة العسكرية فهي تلتزم بمبدأ الشورى وتقود المعركة من داخل الميدان وليس من غرف العمليات المبنية بالخرسانة المسلحة في أعماق الأرض! والتفاوض المباشر مع الأعداء، وأكثر من ذلك المشاركة في القتال والبراز كما حدث من مبارزة سيدنا أبي عبيدة لـ"جرجير" أحد ملوك الروم في معركة اليرموك! فإنَّ هذا له أكبر الأثر في تثبيت المجاهدين وإثارة الحمية في قلوبهم ودفعهم للاستقتال في الحرب وهم يرون قادتهم يحرصون على الشهادة كما يحرص عليها أصغر جندي من جنودهم!

- يتضح بجلاء من قراءة هذا الكتاب دور العلماء وأصحاب الرأي من الصحابة وآحادهم في شحذ الهمم وحل المشكلات التي تطرأ في الميدان طبقاً لأحكام الشريعة وكذلك التوسط بين القادة لدرء الانقسام والانشقاق في الصفوف كما حدث في التدخل بين سيدنا أبي عبيدة وسيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنهما عند فتح مدينة دمشق.

- من أعظم الدروس التي تستفاد من هذا الكتاب هي السمع والطاعة من الجنود والقادة على حد سواء والرجوع للحق مهما كان قائله والمقول له! ويكفينا قول سيدنا خالد بن الوليد لسيدنا أبي عبيدة رضي الله عنهما: "والله لو أمّر عليَّ طفل صغير لأطيعن له، فكيف أخالفك وأنت أقدم مني إيماناً وأسبق إسلاما؟!".

- من أبرز ما يلحظه المطالع للكتاب هو دور المرأة المسلمة في الجهاد والفتوحات لتضحد بذلك الصحابيات رضي الله عنهن ما يشاع عن ذلك الجيل الفريد من هضم حقوق المرأة وأن الإسلام حولهنَّ إلى أدوات معطلة في البيوت لا يسمح لهن بالخروج إلا إلى بيت زوجها ثم إلى القبر! وتبرز هنا التربية الإيمانية التي كان يرعاها رسول الله ﷺ على عينه للرجال والنساء على حد سواء، وتبعه الخلفاء الراشدون ﷺ؛ وخاصة إعداد النسوة للقتال والدفاع عن النفس والعرض إن فُقد الناصر من الرجال فلا يستسلمن للأسر وانتهاك الأعراض! وما أحرى نساء المسلمين أن يتعلمن كيف يربين أنفسهن وبناتهن على الجرأة والشجاعة والدفاع عن النفس بما يتيسر من السلاح خاصة أن الجهاد الآن صار أيسر بكثير جداً عمَّا كان عليه زمن الصحابة والتابعين ﷺ فبعد أن كان بالسيف والرمح وأعمدة الخيام، ويتطلب الفروسية وركوب الخيل وما شابه؛ أصبح الآن بالأسلحة النارية وغيرها وهي سهلة الاستعمال ولا تحتاج لقوة بدنية هائلة كما كان في السابق خاصة أن أعداء الله ﷻ يركِّزون حملات الإبادة على رجال المسلمين وفتيانهم ويستحيون نساءهم، والله تعالى لهم بالمرصاد.

- "انفروا تفقهوا" هذه القاعدة خلَّفت للمسلمين الآلاف من الفقهاء والعلماء الذين يجمعون بين العلم والعمل وإخلاص النوايا، وكذلك التطبيق العملي لقول النبي ﷺ "وجعل رزقي تحت ظل رمحي" فقد ملك المسلمون في سنوات معدودة كنوز كسرى وقيصر وفتحوا مدن الشام والعراق ومصر بكل ما فيها من الأموال والمنقولات والثروات والعبيد والإماء، وخرجوا من ضيق الجزيرة العربية وشظف العيش فيها إلى سعة الدنيا وزينتها نتيجة جهادهم ﷺ!

- ضرورة الرجوع في دراسة تاريخ المسلمين إلى المصادر الإسلامية العربية الموثوقة والابتعاد عن كتابات المستشرقين والأدباء وعلماء الغرب الذين يدسون السم في العسل، ويطعنون الأمة في أعز ما تملك، ويعرضون السيرة والتاريخ عرضاً يخدم أهدافهم الدنيئة ونواياهم الخبيثة ويحرم المسلمين من معرفة صحابة رسولهم ﷺ على حقيقتها دون حصر الأمر في زهدهم وورعهم وعلمهم وإخفاء حقيقة أنهم كانوا أبطالاً في ميادين القتال حتى أن الواحد منهم كان يواجه ألفاً من المشركين مثل سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ الذي لم يُعرف إلا بشدَّة اتباعه لسنة الرسول ﷺ والزهد والعلم، وكذلك سيدنا أبو ذر الغفاري ﷺ الذي قال عنه عمرو بن ساعدة: "فلقد رأيته مع كبر سنِّه يضرب بسيفه ضرباً شديداً في الروم وينتمي إلى قومه ويذكر عند حملاته اسمه ويقول: أنا أبو ذر" وغيرهما من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين! وكأن هذه الروح وهذا الفكر هو الذي يريدون نشره بين المسلمين ليفصلوا بين العلم والعمل، وبين الإيمان والجهاد بالنفس والمال!

عملى في هذا الكتاب

كما ذكرت في البداية أن الكتاب من الضخامة بحيث يصعب على القارئ المعا صر أن يتابع أحداثه ووقائعه ويربط بينها، أو يلحظ التكرار الذي وجد في بعض القصص والأحداث ربما سهواً من المؤلف -رحمه الله- لصعوبة التدقيق والمراجعة في زمانه، بالإضافة إلى ما نظنُّ أنه امتد لأ صل الكتاب من خرافات الصوفية وعبّا د القبور، وبعض القصص التي قد لا يستسيغها أ صحاب "تفضيل العقل على النقل"، فتم تهذيب ذلك أو اختصاره أو إلغاؤه، مع حذف الأ سانيد طلباً للاختصار والاكتفاء بالراوي الأول -إلا ما ندر-، ومن أرا د معرفة الإ سنا د كاملاً وما حُذف أو عُدِّل من فقرات الكتاب يمكنه الرجوع إلى طبعة دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان) الطبعة الأولى **1417 - 1997**م والتي اعتمدنا عليها في المراجعة والتدقيق والمطابقة بين النسخة المعدلة التي بين أيدينا والنسخة الأ صلية للكتاب، بالإضافة إلى ما سيلحظه المطالع للكتاب من البداية من تغييرات في الشكل والطباعة ور سم الآيات القرآنية وغيرها.

والله من وراء القصد وهو الها دي إلى سواء السبيل،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب حسام عبد الرؤوف
1 ربيع الأول **1430**